



## يليار حفر

### رجل في ضوء قنديل

- تملكه حبة ماري فنقله من الدبلوماسية إلى التجارة.
- دبلوماسي بالمصادفة.
- أمضى أربع سنوات، مارس فيها الدبلوماسية والسياسة والأدب والدين والعلم.
- أول وأخر مدير لصحافة الفنون.
- لم يكتب الشعر أو الزجل وتخصص في القصة القصيرة.
- مصري أصيل و«ابن بلد»، من أصل تركي.
- اكتسب ثقافته من الدين والحارات والعمل الدبلوماسي والمطالعات الواسعة.



الوطن ليس دائما المكان الذي انتمى إليه أناس لنا صلة بهم.

الوطن مكان وأناس ومعايشة يومية، يكتسب خلالها الإنسان علاقة روحية بمن حوله وما حوله، فيتميز ارتباطه بالمكان وأناسه، وقد يصبح أقوى من ارتباط غيره بهما.

هذا ما حدث مع الأديب المصري المبدع يحيى حقى، المنحدر من أصل تركى. يقول يحيى حقى عن نفسه: «أنا، كالزلطة، إن كسرتنى لوجدت داخلى يصرخ: أنا مصرى». وكان يُوصف بأنه مصرى حتى النخاع وابن بلد.

والحكاية مع يحيى حقى طويلة، وتبدأ من جده إبراهيم حقى، الذى هاجر من الأناضول إلى مصر وعمل لدى الحكومة حتى وصل إلى منصب وكيل مديرية البحيرة، حيث تزوج وأنجب أبناءه الثلاثة، محمد، والد يحيى حقى، ومحمود طاهر، ثم كامل حقى.

وكان أبو والده يحيى حقى، واسمها سيدة هانم حسين، تركياً وامها البانية. وقد التقت الأستران فى بندر المحمودية فى البحيرة، حيث تزوجت سيدة هانم بمحمد حقى الموظف فى نظارة الاوقاف.

### بيئة شعبية وثقافة

كانت سيدة هانم تجيد القراءة والكتابة فى زمن كانت الأمية متفشية فيه بوجه عام بين النساء، وكانت أغلب قراءاتها فى الكتب الدينية، فانعكس ذلك على أسماء اولادها السبعة الذين أنجبتهم، إذ أطلقت عليهم أسماء استمدتها من الكتب التى قرأتها وهم على الترتيب: إبراهيم وإسماعيل ويحيى وزكريا وموسى وفاطمة ومريم.

وعاشت أسرة محمد حتى موظف الأوقاف فى حى السيدة زينب فى القاهرة. وولد يحيى حتى يوم ٧ يناير من عام ١٩٠٥م فى درب الميضة خلف مسجد أم هاشم فى السيدة زينب. وكان مولده فى ذلك الحى أثره فى أن تكون الأحياء الشعبية، والسيدة زينب خاصة، مسرحاً أثيراً ومحبياً إلى قلبه، وما أبدع من إنتاج أدبى.

## أكثر من مدرسة

وانتقلت الأسرة من السيدة زينب إلى حى الخليفة. وألحق يحيى بمدرسة أم عباس (خديوى مصر، عباس باشا الأول) فى حى الصليية، وهى مدرسة مجانية للفقراء، ومكث فيها يحيى من عام ١٩١٢م حتى نال الشهادة الابتدائية عام ١٩١٧م، فانتقل إلى المدرسة التجهيزية التابعة لها، وكانت تسمى «المدرسة الإلهامية» فى حى الحلمية الجديدة. وظل فيها سنتين، حتى نال شهادة الكفاءة.

والتحق بعد ذلك بالمدرسة السعيدية لينتقل فى العام التالى إلى المدرسة الخديوية، التى حصل منها على شهادة البكالوريا بترتيب الأربعين بين مجموع تلاميذ القطر المصرى كله. وأتاح له تفوقه فرصة الالتحاق بمدرسة الحقوق السلطانية، وكانت من كليات القمة فى ذلك الوقت، حيث لم تكن تقبل بين طلبتها سوى المتفوقين جداً فى دراستهم وتدقق كثيراً فى اختيارهم.

وتخرج فى شهر يونيو من العام ١٩٢٥م، فى مدرسة الحقوق وعمره كان عشرين عاماً ونصف العام، وكان ضمن دفعة ضمت الدكتور عبد الحكيم الرفاعى، وحلمى بهجت بدوى، وطه السيد نصر، وعبد العزيز بدر، وعبد الكريم أبو شفة، وتوفيق الحكيم.

تخرج يحيى حتى فى مدرسة الحقوق ليتجه إلى العمل فى الحكومة لسببين حددهما هو بنفسه:

«الأول: لأن جميع أسرتى من الموظفين، فليس فيهم أحد من أصحاب المهن الحرة، حتى أقتدى به، أو أسير فى «شق محراثه».

والثانى: إن تربيى جاء فى أوائل المتقدمين، فكان من الطبيعى والمتنظر الآجد صعوبة فى الالتحاق بوظائف النيابة العامة، وكانت تعتبر حيثئذ هى ووظائف قلم قضايا الحكومة أقصى ما يصبو إليه حامل الليسانس».

### يحيى المحامى

عمل يحيى حقى فى النيابة فترة من الزمن دون أن يكون راضياً عن عمله، ثم تركها إلى المحاماة متوقفاً الفشل فيها. وبدأ فى الإسكندرية عمله فى المحاماة بمرتب شهرى قدره ستة جنيهات لم يقبض منها شيئاً. ثم انتقل إلى مكتب محام آخر بمرتب ثمانية جنيهات، لكنه لم يستمر فى مهنة المحاماة أكثر من ثمانية شهور، وبدأ بعدها القلق يسيطر على الأهل حول مستقبل ابنهم يحيى، حتى وجدوا له وظيفة معاون إدارة فى منفلوط.

كانت وظيفة معاون الإدارة شاقة، وعرف خلالها يحيى حقى الحسرة والالأم وكرب الحياة، وامتنح فيها امتحاناً عسيراً، لكنه أيضاً حقق منها فائدة كبيرة ككاتب قصة.

يقول يحيى حقى: «إن تجربة منفلوط، التى استمرت سنتين، شكلت أهم أحداث حياتى على الإطلاق».

كانت منفلوط وظروفها وطباع أهلها وعاداتهم وتقاليدهم وزرعم وخفرهم وعمدهم وموظفيهم ودنياهم، هى مصر الحقيقية كما رأها يحيى حقى.

وفى عام ١٩٢٩م كان يقرب صفحات جريدة فى ليل الصعيد الصامت عندما وقعت عيناه على إعلان.

### دبلوماسى بالمصادفة

كان حافظ عفيفى وقتها وزيراً للخارجية، وقررت الوزارة عقد مسابقة للالتحاق بوظائفها، وتقدم يحيى حقى للمسابقة، ونجح، وانتقل من منفلوط إلى

خارج مصر، من سلك الشعب إلى السلك الدبلوماسى . وقفز دفعة واحدة من طبقة «الغلاية» إلى طبقة الخارجية وأبناء الأعيان والطبقة الأرستقراطية .

وكما اهتزت نفسه بعنف عندما سافر إلى الصعيد لأول مرة، وكما شعر بعد هذه الهزة وكأنه انتقل من عالم إلى عالم آخر، ومن دنيا إلى دنيا أخرى شديدة الاختلاف، اهتزت نفسه بعنف أشد وهو ينتقل من الصعيد إلى جدة . فخلال أسابيع قليلة، وجد يحيى حقى نفسه أميناً للمحفوظات فى القنصلية المصرية فى جدة، وانتقل من التحقيقات وحكايات السرقة والقتل والغرام المحرم وليل الصعيد الساكت وقصص الدماء والطين، إلى حيث كان عليه أن يتعلم «البروتوكول والإيتيكييت»، وكيف يأكل، وكيف يشرب، وكيف يلبس، وكيف يمشى، وكيف يتكلم، وكيف يتصرف؟

### من جدة إلى تركيا

وفى جدة حدثت فى حياته ثلاثة أشياء مهمة: فقد التقى بالعقلية الغربية المنظمة فاحترمها . والتقى بالمسلمين من جميع أنحاء الدنيا يأتون للحج كل عام، فيكونون أمام عين الفنان الثاقبة لوحة كان لها أبلغ الأثر فى نفسه .

وفى جدة، كان النشاط الدبلوماسى قليلاً فراح يقضى وقته فى المكتبة ليقرا عبد الرحمن الجبرتى، المؤرخ، فيفتن بما كتب، لقد رأى فيه شعبه الذى أضنى نفسه فى البحث عنه فى السيدة رينب والحلمية والصلبية والخليفة حتى منفلوط .

وكان كتاب الجبرتى أول كتاب يهزه من الأعماق ويؤثر فيه تأثيراً مباشراً، فكتب ست مقالات تبحث عن الفكاهاة عند الشعب المصرى، استند فيها إلى الجبرتى، ووقعها باسم عبد الرحمن بن حسن، وهو اسم الجبرتى .

وفى جدة رأى المسلمين من كل أنحاء الدنيا، رآهم من الهند والصين ومن جاوة إندونيسيا، ومن تركستان وأفريقيا فأمسك قلمه وراح يكتب ويرسل مقالاته إلى القاهرة، وفى ضميره أن يتحقق حلم الإسلام بوحدة كل المسلمين .

فى جدة أيضاً التقى جون فيلبى، المستشرق البريطانى الذى لعب دوراً شهيراً فى الشرق لحساب المخابرات البريطانية والذى اجتاز منطقة الربع الخالى ووضع عنها كتاباً، وكان يحيى حتى يمر بعد انتصاف الليل ليجد فيلبى ساهراً يقرأ ويكتب.

وكان فان دور مولن، قنصل هولندا فى جدة مستشرقاً أيضاً. وتخصص فى رسم خرائط الجزيرة العربية.

غير أن تجربة يحيى حتى فى جدة لم تدم لأكثر من عام، ففي عام ١٩٣٠م انتقل إلى تركيا مسقط رأس جدة إبراهيم حتى، وهناك عاش تجربة من أعمق تجارب حياته، فقد رأى بعينى رأسه المرحلة الثالثة لكمال أتاتورك، وهى المرحلة التى أراد فيها أن يحول تركيا من دولة مسلمة إلى دولة علمانية لا دينية.

### بين أتاتورك وموسولينى

وفى تركيا ارتدى القبعة لأول مرة وتعلم أن للقبعات علماً وأصولاً. وفى تركيا أيضاً، تعلم اللغة التركية وأتقنها، وشاهد كمال أتاتورك عن قرب، وسمعه يخطب، وعاصر تحويل الحروف التركية من العربية إلى اللاتينية، والتقى بالشاعر عبد الحق حامد، والشاعر يحيى كمال.

أمضى أربع سنوات فى تركيا، عذبه وعلمته، ومارس فيها الدبلوماسية والسياسة والأدب والدين والعلم ونقل بعدها إلى روما.

وانتقل بذلك من ديكتاتورية كمال أتاتورك، إلى «فاشية» موسولينى، الذى كانت الجماهير فى روما تزار فى وحشية استجابة له، وهو يهدر كأعظم الخطباء.

وكما تعلم يحيى حتى التركية فى تركيا تعلم الإيطالية فى إيطاليا وراح يغترف من الأدب الإيطالى بنهم شديد، حتى قرأ لموسولينى الكاتب المسرحى الفنان مسرحية باسم «مئة يوم»، وكتاباً آخر بعنوان «أخى أرنالدو». وعرف أن

موسوليني كان يكتب بياناته الرسمية بنفسه، وكانت تلك البيانات قطعاً من الأدب الملتهب.

وفى روما كان يراقب التوسع الإيطالى فى شمال أفريقيا ويدرك نية السلطة الإيطالية التهام مصر، وأصابه القلق عندما زار الزعيم النازى الألماني هتلر، روما. وشاهد هتلر وهو يمشى بصلف وكبرياء، ثم زار ألمانيا وهو لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الألمانية، ولكنه وقف مبهوراً وسط عشرات الألوف من الناس تستمع لهتلر وهو يخطب فى برلين، وبلغ به الانفعال مع كلمات الرجل التى لم يكن يفقه منها كلمة إلى حد أن دموعه راحت تنهمر.

### أيام باريسية

وعاد إلى مصر عام ١٩٣٩م، فتلبسه إحساس غريب، حيث بدا له كأنه يراها لأول مرة، فكتب رواية «قنديل أم هاشم».

وظل فى مصر عشر سنوات وعمل مديراً لمكتب وزير الخارجية. وفى هذه الفترة تزوج وأنجب ابنته الوحيدة. لكن زواجه لم يقدر له الاستمرار لوفاة زوجته بعد شهر واحد من ميلاد ابنته. وظل يحى حتى وفياً لذكرى زواجه الأول عشر سنوات كاملة، انتقل بعدها إلى باريس عام ١٩٤٩م سكرتيراً أول للسفارة المصرية، وكان أهم ما شعر به هو الإحساس الفياض بطعم الحرية التى لم يعرفها فى استانبول أو روما، ولم يصادفها فى جدة من قبلهما. فقال عنها: «فى باريس كل واحد حر الحكومة هناك هى عسكري المرور ويس».

غير أنه كان يعرف ما الذى يريده من «مدينة النور» فعرف طريق الفن وزار معارض الفن التشكيلى، وتعرف إلى رفيقة مشوار حياته الفنانة التشكيلية جان ملارى جيهو التى تزوجها بعد ذلك وشاركته حياته حتى آخر نفس.

ونقل بعد عامين إلى أنقرة، فعاد إلى تركيا وقد انحسرت عنها الموجة

«الكلمالية»، لكنه عاد هذه المرة مستشاراً للسفارة وليس أميناً للمحفوظات، وبعدها أصبح أديباً ناضجاً، يمارس الكتابة، وبدأ اسمه يملأ الأسماع.

فى أنقرة ظل يحيى حقى عامين قامت أثناءهما فى مصر ثورة يوليو ١٩٥٢م. وبعده قيامها بعامين قفز إلى قمة السلك الدبلوماسى، حيث عين وزيراً مفوضاً فى ليبيا عام ١٩٥٤م.

### أهم من السياسة

عاش يحيى حقى عامًا عصيبًا هناك، حيث كانت تلك هى المرة الأولى التى يتولى فيها رئاسة بعثة دبلوماسية، كان الصراع مرهقًا فى ليبيا، التى كانت مقدمة على توقيع معاهدات مع أمريكا والمجترات وفرنسا، وكان الصراع فى قلبه أشد، مع حب جان مارى جيهو، لكنه لم يكن يستطيع الزواج بها إلا إذا ترك السلك الدبلوماسى بعد أن عاش فيه كل هذا العمر.

كان يعرف أن الفن هو طريقه، وكان قد بلغ التاسعة والأربعين من عمره وقد أن الأوان أن يدفن الحب قلبه وبيته.

وتقدم يحيى حقى إلى وزارة الخارجية بطلب الانتقال إلى وزارة أخرى، ووافقوا على الطلب فانتقل من الخارجية إلى وزارة التجارة. وهكذا استطاع أن يتزوج حبيبة قلبه بعد أن عاد إلى القاهرة مرة أخرى وكان زواجه فى يوم لا ينساه هو ٢٢ سبتمبر من عام ١٩٥٣م.

وفى عام ١٩٥٥م أنشئت مصلحة الفنون فكان هو أول وآخر مدير لها، إذ ألغيت عقب تركه لها، وبعده أن أصبحت هناك وزارة للثقافة تودى عملها، ثم عين يحيى حقى مستشاراً لدار الكتب، وهى الوظيفة التى استقال منها عام ١٩٦١م قبل أن يعين رئيساً لتحرير مجلة «المجلة» من عام ١٩٦٢م وحتى عام ١٩٧٠م، حين تبنت الحكومة سياسة التقشف وضغط المصروفات، لتغلق

المجلات الثقافية، وتطفئ بذلك كل المصاييح التي أضاءت سماء الثقافة والأدب في مصر حقبة زاهرة من الزمن.

## ستون عاماً مع الأدب

قال يحيى حقى مرة رداً على سؤال للناقد الراحل فؤاد دواردة، في كتابه «عشرة أدباء يتحدثون»:

«بدأت أكتب في سن مبكرة، في حوالي السادسة عشرة، ومعظم هذه الكتابات لم أجمعها بالطبع، ولكني بدأت في كتابة القصة القصيرة بشكل منتظم بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٣، حين تخرجت في مدرسة الحقوق السلطانية، وكنت متأثراً بالأدب الروسي أكثر من الأدبين الإنجليزي والفرنسي، تسألني لماذا؟ لأنني وجدت كل شخص في الأدب الروسي تقريباً، مشغولاً بقضية كبيرة هي خلاص الروح، ويخيل إليّ أن الأدب الصادق هو الأدب الذي وإن سجل وعبر وحل وكتب بأسلوب واقعي إلا أنه لا يكتفى بذلك، بل ويرتفع إلى حد التبشير، وهذا ما وجدته في الأدب الروسي، وهذا ما سحرني».

### \* ولماذا القصة القصيرة بالذات؟

يقول: «لم أكتب الشعر قط، ولا الزجل، وإنما اتجهت فوراً إلى القصة القصيرة لأنها أقرب قوالب الأدب إلى الشعر، لى نزعة شديدة لحب الشعر، وأشترط أن تكون القصة القصيرة فيها نغمة شعرية نحس بها إحساساً خفيفاً دون أن تكون طاغية على القصة، وسر عبقرية اللغة هو الشعر، ويجتمع هذان السببان في أنى فضلت القصة».